الدلالة فى لغتنا العربية

بقلم الدكتور محمد أبو المكارم قنديل وكيل الكلية

والدلالة - مثلثة الدال - مصدر دله على الطريق دلالة ودلولة فاندل : سدده إليه .

والدليلى كخليفى : الدلالة ، أو علم الإنسان بالدلالة ، ورسوخه فيها ، وفى حديث على - كرم الله وجهه - عن صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « ويخرجون من عنده أدلة » هو جمع دليل ، أى بما قد علموا ، فيدلون عليه الناس ، يعنى يخرجون من عنده فقهاء ، فجعلهم أنفسهم أدلة مبالغة .

وقول الجوهرى : الدليلى : الدليل سنهو ، لأنه من المصادر .

والاسم الدلالة - بالكسر والفتح - والدلالة - بالكسر : ما جعلته للدليل ، أو الدلال ، والدلالة - بالفتح - حرفة الدلال (١) .

والدلالة تكون فى مفردات اللغة ، كما تكون فى مركباتها ، والدلالة فى المفردات تتناول : الدلالة اللغوية ، والدلالة الصوتية ، والدلالة الصرفية. ويراد بدلالة المركبات الدلالة النحوية المتعلقة بالجمل ، وذلك هو مجال علماء النحو وميدان الدراسات التى تقوم على ما وضعه العلماء للغة من قواعد وقوانين ، لأن الكلام لا يستقيم ، ولا يتحقق المراد منه ، ولا تحصل منافعه

---

(١) انظر لسان العرب ، والقاموس المحيط مادة « دلل » .

التى هى الدلالات على المقاصد إلا بمراعاة أحكام النحو فيه من الإعراب ، والترتيب الخاص[١] .

والدلالة اللغوية يعرض لها التغيير لتأثرها بكثير من العوامل كالبيئة والظروف الاجتماعية ، وما يكون من تقارب وتداخل بين الأمم والشعوب وما تحدثه المعارف والثقافات من آثار فى وظائف الكلمات .

والتغيير الذى تتعرض له المفردات يكون فى معناها بأن يكون معنى الكلمة عاما عند وضعه ، ثم يتعرض لعوامل تخرجه من هذا العموم ، وتجعل مدلوله قاصراً على بعض أفراده ، وبهذا يتحول مدلول الكلمة إلى هذا المعنى الخاص ، ومن ذلك لفظ « السبت » فإنه فى اللغة الدهر ، ثم خص فى الاستعمال لغة بأحد أيام الأسبوع ، ومن هذا كلمة « رث » ورث كل شىء : خسيسه ، ثم كثر استعماله فيما يلبس أو يفرش[٢] .

وقد توضع الكلمة لمعنى خاص ثم تستعمل فى معنى أعم مما وضعت له ، ومن ذلك كلمة « الوغى » والوغى : اختلاط الأصوات فى الحرب ، ثم كثر فصارت الحرب وغى والغيث : المطر . ثم صار مانبت بالغيث غيثاً[٣] .

وقد تخرج الكلمة عن معناها الذى وضعت له . وتطلق على معنى آخر لعلاقة بين المعنيين وتصير حقيقة فى هذا المعنى الجديد . وأما الاستعمال المجازى فى العربية إلا لون من ألوان التغير الدلالى فى المفردات العربية .

---

(١) انظر أسرار البلاغة لعبد القاهر ص٥٥

(٢) انظر المزهر للسيوطى ١/٤٢٧

(٣) المرجع السابق ص ٤٣١

لأن المعنى المراد من الكلمة يختلف عن المعنى الذى وضعت له ، وإنما ساغ هذا الاستعمال لعلاقة بين المعنى الأصلى والمعنى المجازى الذى انتقلت إليه هذه الكلمة ، ومن ذلك قول الشاعر :

ولم أر قبلى من مشى البدر نحوه ولا رجلا قامت تعانقه الأسد

فالبدر لا يمشى نحو أحد من الناس ، والأسد لا تعانق الرجال ، ولكن الشاعر استعمل كلمة « البدر » وكلمة « الأسد » فى غير ما وضعت له كل منهما ، وهذا نوع من التغير الدلالى فى المفرد .

والتعميم فى الدلالة بعض الألفاظ أقل شيوعا من التخصيص ، ومن التعميم فى دلالة المفرد تحويل الأعلام إلى صفات كأن نطلق كلمة « حاتم » على الكريم ، وكلمة « عنترة » على الشجاع ، وكلمة « هبنقة » على الأحمق .

الدلالة الصوتية :

والدلالة الصوتية تقوم على أساس أن هناك علاقة بين اللفظ والمعنى ، فإذا كان المعنى قويا استعملت له أصوات فيها قوة وشدة ، وإذا كان المعنى ضعيفاً جىء له بصوت هزيل ضعيف .

وأهل اللغة على ثبوت المناسبة بين الألفاظ والمعانى ، وإلى هذا ذهب علماء أصول الفقه فقد نقلوا عن عباد بن سليمان الصيمرى من المعتزلة أنه يرى أن هناك مناسبة طبيعية بين اللفظ ومدلوله ، وهى التى حملت الواضع على أن يضع ذلك اللفظ لهذا المدلول ، وادعى بعض المغالين فى ذلك أنه يعرف مناسبة الألفاظ لمعانيها ، فسئل عن لفظ « أذغاغ » وهو بالفارسية : الحجر ، فقال : أجد فى اللفظ يبسا شديداً ، وأرى أنه الحجر .

وجمهور الأصوليين ينكر أن تكون المناسبة بين اللفظ ومدلوله طبيعية ، واستدل على هذا الإنكار بأنه لو صح ذلك لاهتدى كل واحد إلى كل لغة، ولما صح أن يوضع اللفظ الواحد للضدين كالقرء للطهر والحيض ، والجون للابيض و لأسود .

والفرق بين ما ذهب إليه اللغويون وما يراه عباد أن عبادا يرى أن المناسبة بين الألفاظ والمعانى ذاتية مواجبة ، واللغويون على خلاف ذلك[1].

ونظرا لما يحظى به هذا الموضوع من الاهتمام ، وما يستحق من البحث والدرس فقد عقد له ابن جنى بابا خاصا فى كتابه الخصائص مبينا عناية العلماء به ، وتنبيههم عليه فقد نقل عن الخليل أن العرب تقول فى صوت الجندب : « صر » وفى صوت البازى : « صرصر » كأنهم توهموا فى صوت الجندب استطالة ، وفى صوت البازى تقطيعا .

وسيبويه يقول فى المصادر التى جاءت على « الفعَلان » : إنها تأتى للاضطراب والحركة ، نحو الغليان والغثيان والجولان ، فقابلوا بتوالى حركات المثال حركات الأفعال .

ومن ذلك المصادر الرباعية المضعفة فإنها تأتى للتكرير نحو : الزعزعة والصلصلة والجرجرة ، وغير خاف أن التضعيف إعادة ، والتكرير كذلك فطابق هذا ذاك .

ومن هذا أيضا أن ما جاء على « الفعَلى » فى المصادر والصفات إنما يأتى للسرعة ، نحو : البشكى والجمزى والولقى .

---

(١) انظر المزهر ص ٤٧/١

ومما يجرى فى هذا المضمار أنهم جعلوا تكرير العين دليلا على تكرير الفعل ، فقالوا : كسر وقطع وفتح وغلق[1] .

ومن ذلك أن « الرنين » أشد من « الحنين » و « القبصة » أصغر من « القبضة » ، لأن القبص : الأخذ بأطراف الأنامل ، والقبض : الأخذ بالكف كلها .

ومن هذا «القضم» للفرس ، و « الخضم » للانسان ، وقيل : «القضم» بأطراف الأسنان ، و « الخضم » بأقصى الأضراس .

وقال الأصمعى : من أصوات الخيل « الشخير والنخير والكرير » فالشخير : من الفم ، والنخير من المنخرين ، والكرير من الصدر[2] .

ومما يدخل فى إطار الدلالة الصوتية استعمال عبارة « لا يا شيخ » فهذه العبارة يختلف مدلولها باختلاف المواقف والأحوال ، فقد تستعمل مرادا بها التهكم ، كما إذا قال طالب لآخر : أنا أحسن منك علما وفهما ، وليس الأمر كذلك ، فيرد عليه قائلا : « لا يا شيخ » تهكما به وازدراء بشأنه وقد يراد منها الاستفهام كأن يخبر طالب صديقه بأن موعد المحاضرة قد تغير ، فيقول له : « لا يا شيخ » ؟ بمعنى أحقا ما نقل ؟ فهو يريد التثبت والتحقق مما سمع .

وقد تأتى عبارة « لا يا شيخ » مرادا بها النفى ، كما إذا قال لك صديق

---

(١) راجع الخصائص ٢/١٥٢

(٢) انظر المزهر ١ ، ٥١ ، ٥٢

سأبقى فى البيت ، ولن أذهب إلى المحاضرة ؛ فتقول له : لا ياشيخ . بمعنى لا يكون منك ذلك .

ويلاحظ أن للأداء الصوتى دوراً واضحاً فى مدلول هذه العبارة ، وفى فهم ما يراد منها من أغراض .

الدلالة الصرفية .

وإذا كان عماد هذا البحث هو الدلالة النحوية فإن الدلالة الصرفية داخلة فيها لا محالة . لأن موضوع علم النحو هو المركبات . ولا قيام للمركب إلا بأجزائه التى تمثلها المفردات ، والمفردات من حيث البنية والتصريف . والاشتقاق هى موضوع علم الصرف ؛ فالتلازم بين النحو والصرف قائم والاتصال بينهما وثيق .

ولما كان علم الصرف هو علم الأبنية والصيغ والاشتقاق كان لاختلاف الأبنية ، والهيئات وتنوع المشتقات أثره فى اختلاف الدلالة على المعانى .

فالمصدر بهيئته يدلك على الحدث مجرداً عن الزمان ، والأفعال بصيغها المتباينه تدلنا على أزمنه متغايرة ، وصيغ الزيادة فى الأفعال لها دلالات متباينة ومعان تختلف باختلاف هذه الصيغ وتلك الزيادات .

فالألف فى « أفعل » قد تأتى دالة على التعدية نحو : أجلست عمراً ، وقد تأتى دالة على الدخول فى الشىء زماناً أو مكاناً ؛ نحو : أصبح وأمسى وأنجد وأتهم .

وقد تأتى الألف فى « أفعـل » مفيدة معنى السلب والإزالة نحو : أعجمت الكتاب وأقذيت عين الصبى .

وصيغة «فاعل» تأتى دالة على المشاركة فى عمل بين اثنين فأكثر نحو: جادلت عمراً وقاومت الأعداء.

وقد تجىء لمعنى الموالاة والتتابع نحو: واليت الصوم، وتابعت أبنائى

وصيغة «فعل» - بتشديد العين - تأتى دالة على التكثير. نحو: طوف ونوّم وغلّق.

وتأتى للدلالة على نسبة الشىء إلى ما صيغ منه الفعل نحو: فسّقته، وكفّرته.

وصيغة «تفعّل» تأتى لمطاوعة «فعّل» المضعف نحو: قطعته فتقطع. ونزّلته فتنزّل. وعلمته فتعلم.

وتأتى للدلاله على التكلف؛ نحو تشجّع وتحلّم وتصبر؛ إذا لم تكن هذه الصفات سجية له.

وصيغة «تفاعل» من معانيها التظاهر بأصل الفعل؛ مع أنه لاوجود له أصلا نحو: تنادم وتباكى وتجاهل، ومنه قول الشاعر:

ولما رأيت الجهل فى الناس فاشياً تجاهلت حتى قيل: إنى جاهل

ومن معانى «تفاعل» حصول الشىء تدريجاً نحو: تزايد المطر، وتتابع القوم. وصيغة «افعوعل» تدل على المبالغة فى أصل الفعل. نحو: اعشوشبت الأرض. أى كثر عشبها، واغدودق النبت. أى طال وتم.

وصيغة «افعالّ» تأتى للدلالة على قوة اللون أو العيب. نحو: احمار واعوارّ، وهما أقوى دلالة من حمر وعور.

ومن ذلك دلالة صيغة «فاعِل» على من وقع منه الحدث. نحو: صائم وقائم.

ومن هذا أيضاً بناء صيغ المبالغة التى تدل على التكثير ، وتفيد معنى المبالغة التى يقصر عن الوفاء بها وزن « فاعِل » وإن كان كل منهما يفيد وقوع الحدث من المتصف به ، ولذلك تدرك السر فى اختيار ، واستعمال صيغ المبالغة فى قول الخنساء ترثى أخاها صخراً :

وإن صخراً لكافينا وسيدنا ... وإن صخراً إذا نشتو لنحّارُ

وإن صخراً لمقدام إذا ركبوا ... وإن صخراً إذا جاعوا لعقّارُ

حمّال ألوية ، هبّاط أوديه ... شهّادُ أندية ؛ للجيش جرّارُ

فقد آثرت الخنساء التعبير بصيغ المبالغة ؛ لأنها أقوى دلالة ، وأبلغ أداء ، وأنفذ إلى الغرض المراد ، ولن يرقى التعبير بصيغة اسم الفاعل : « ناحر ، وعاقر وحامل وهابط وشاهد وجار » إلى مستوى الأداء الذى أتت به الخنساء .

وتجىء صيغة « فاعِل » و « فعّال » بمعنى ذى كذا ؛ أى : صاحب شىء دون أن تكون اسم فاعل ، أو مبالغة فيه ، وإنما يؤتى بهما لإفادة معنى النسب ، « وفاعل » فى هذه الحالة يكون لصاحب الشىء بلا مبالغة ، و (فعال) لمن يلازم الشىء ، ويزاوله ، من جهة البيع كالبقال . أو من جهة القيام بحاله كالجمّال ، أو باستعماله كالسياف ، وكلا الوزنين محمول على اسم الفاعل . وبناء المبالغة . يقال : لابن لصاحب اللبن . ولبّان لمن يزاول ذلك . ومما يجب أن يحمل على أن بناء (فعّال) فيه للنسب قول الله تعالى (وما ربك بظلام للعبيد[1]) أى بذى ظلم .

---

(١) فصلت ٤٦

دلالة الفعل :

والفعل فيه ثلاث دلالات : لفظية وصناعية ومعنوية فالفعل « علم » مثلا لفظه يدل على مصدره ، وبناؤه يدل على زمانه ، لأن هذه الصيغة تكون للماضى ، ومعناه يدل على فاعله .

وأقوى هذه الدلالات هى الدلالة اللفظية ، ثم تليها الصناعية ، ثم تأتى بعدها الدلالة المعنوية ، والدلالة بأنواعها الثلاثة تتحقق فى جميع الأفعال .

وإنما كانت الدلالة الصناعية أقوى من الدلالة المعنوية لأنها صورة يحملها اللفظ ، ويخرج عليها ، ولذلك لحقت بحكمه وجرت مجرى اللفظ المتعلق به .

أما الدلالة المعنوية فلاحقة بعلوم الاستدلال وليست فى حيز الضروريات لأن الإنسان إذا سمع الفعل « علم » عرف حدثه وزمنه ، ثم بعد ذلك يسأل قائلا : هذا فعل ولا بد له من فاعل ؛ فمن فاعله ؟ ويواصل البحث عن هذا الفاعل إلى أن يعلم من هو ، وماحاله ، ويأتى العلم بذلك من موضع آخر لا من مسموع « علم » .

ويصلح لهذه الفاعلية كل مذكر يصح منه الفعل وليس للفعل « علم » بأحد الفاعلين خصوص ليس له بغيره ، كما يختص بالعلم دون غيره من الأحداث .

ولو كان للفظ الفعل مدخل فى استفادة الفاعل للزمنا إذا قلنا « قام » أن تختلف دلالة الفعلين على الفاعل لاختلاف لفظيهما ، كما اختلفت دلالتهما على الحدث المستفادة من لفظهما ، وليس الأمر كذلك ، وهذا يؤكد أن

دلالة الفعل على الفاعل بمعناه .

ومن ذلك «الفهم» و « الصوم » فاللفظ فيهما يفيد الحدث ، والصياغة تفيد الصلاحية للأزمنة الثلاثه لأن الحدث يمكن أن يقع فى الماضى أو فى الحاضر أو فى المستقبل .

وكذلك اسم الفاعل نحو « عالم » و « كاتب » لفظه يفيد الحدث ، وبناؤه وصبغته يفيدان كونه صاحب الفعل.

والفعل « علم » لفظه يفيد الحدث ، وبناؤه يفيد شيئين : أحدهما الماضى والآخر تكثير الفعل ، ومعناه يدلك على أن له فاعلا .

والفعل « تحلم » يستدل بلفظه على الحدث وبنائه على الماضى ، وأن فاعله متكلف ما ليس من طبعه ، ويدل معناه على فاعله ؛ فهذه أربع دلالات[1] .

الدلالة النحوية :

من المقرر أن النحو يرتبط بالجملة لأن مباحثه تدور حول الموقع الإعرابى لكل مفرد من مفرداتها ، وترتيب المفردات فى الجملة محكوم بقواعد وضوابط تلزم مراعاتها حتى تكون دلالة المركب واضحة لا توقع فى لبس ولا تؤدى إلى غموض أو إبهام ، ولا تنحرف بالكلام إلى غير ما يريد المتكلم ، لذلك كان الالتزام بالقواعد النحوية أساساً لصحة التراكيب ، ووضوح الدلالة وفهم ما يعنيه المتكلم أو الكاتب .

واللغة هى الأداة التى تحمل الأفكار ، وتنقل المعلومات ، وأى خلل

---

(١) راجع الخصائص ج ٣ ص ٩٨ - ١٠١ .

أو خطأ فى استعمالها يؤدى إلى تغيير فى مدلول العبارة . وفساد فى القصد ، وبعد أو انحراف عن المعنى المراد . ومن ذلك ما وقع للوليد بن عبد الملك حينما دخل عليه رجل من أشراف قريش ، فقال له الوليد : من ختنك ؟ - بفتح النون - قال له : فلان اليهودى ؟

فقال الوليد : ما تقول ؟ ويحك .

قال : لعلك تسأل عن ختنى يا أمير المؤمنين هو فلان ابن فلان .

وقصة الأعرابى الذى سمع من يقرئه يقول : إن الله برىء من المشركين ورسوله (بجر) رسوله ، فقال الأعرابى : أو قد برىء الله من رسوله ، إن يكن الله برىء من رسوله فأنا أبرأ منه ، وبلغ ذلك أمير المؤمنين عمر ، فدعا الرجل وعرف عذره وقرأ عليه الآية صحيحة : « إن الله برىء من المشركين ورسوله » فقال الأعرابى : وأنا والله أبرأ مما برىء الله ورسوله منهم ؛ فأمر عمر - رضوان الله عليه - ألا يقرىء القرآن إلا عالم باللغة .

إن العربية تمتاز بدقتها فى الدلالة والإبانة إذا استعملها من يتذوقها ، ويحسن فهمها لأنها اللغة التى تستخدم الحركات ، وتجيد توظيفها لتوصيل ما نريد من أفكار ومعلومات وخذ مثلا لذلك :

تستخدم العربية من الضمائر (التاء) لتدل على الفاعل ؛ فإن أتيت بالتاء مضمومة نحو (علمت) كان الفعل صادراً من المتكلم ؛ فإن فتحت التاء كان الفاعل هو المخاطب ؛ فإن كسرت التاء كان الفعل صادراً من المؤنثة المخاطبة ، فتغيير حركات التاء يدل على نوع الفاعل متكلما أو مخاطبا ، أو مخاطبة .

ومن الدلالة النحوية ما ذهب إليه النحويون فى (باب المبتدأ والخبر) من إبراز الضمير المتحمل إن جرى الوصف على غير من هو له بأن كان

صفة لغير مبتدئة فى الواقع ؛ فإذا قلت : (غلام زيد ضاربه) كان الضرب من الغلام ، والوصف جار عليه لأنه خبر عنه ، أما إذا أردت أن يكون الضرب صادراً من زيد وواقعا على الغلام لزم أن يكون التركيب هكذا : (غلام زيد ضاربه هو) فإبراز الضمير أفادنا الإخبار بضاربيـــة (زيد) ومضروبية (الغلام) ، وقد جرى الوصف على الغلام لفظاً لأنه خبر عنه ، ولولم نبرز الضمير (هو) لتوهم السامع أن الغلام هو الضارب والبصريون يلتزمون إبراز الضمير مطلقاً ، والكوفيون يلتزمون إبرازه عند الالتباس فلا يلزم إبراز الضمير عندهم فى نحو : (غلام هند ضاربتـه) لأنه بتأنيث الوصف تأكدنا من ضاربية هند ، ومضروبية الغلام ، ونظير ذلك لو قلنا : (جارية زيد مكرمها) قالإكرام صادر من زيد وإن جرى لفظا على الجارية لأنه خبر عنها .

والرأى ما ذهب أليه الكوفيون ؛ لاستبانة الغرض ووضوح الدلالة .

ومن الدلالات النحوية مجىء اللام الفارقة بعد (إن) إذا خففت وكانت مهملة ، وهـذه اللام تأتى لتفرق بين الإثبات والنفى ؛ فإذا قلت : (إن عمرو لعالم) كان الكلام مثبتاً ؛ فإذا أسقطت اللام ، وقلت : (إن عمرو عالم) كان الكلام نفياً ، و (إن) نافية بمعنى (ما) .

وهذه اللام يلزم الإتيان بها مع (إن) العاملة إن حصل لبس بأن كان الإعراب خافياً ، نحو : (إن هذا لعالم) أو (إن أخى لقادم) وقد تغنى عن هذه اللام قرينة لفظية نحو : (إن زيد لن يقوم) ، لأن لام الابتداء لا تدخل على الخبر المنفى ، كما أن (إن) النافية لا تكون مع (لن) لأن

نفى النفى إثبـــات ؛ فالأولى أن يجىء الـكلام مثبتاً ، كما يغنى عن هذه اللام وجود قرينة معنوية كقول الشاعر :

أنا ابن أباةِ الضيم من آل مالك وإن مالك كانت كرام المعادن

فالشاعر يفخر بآبائه ، ولن يكون له ما يريد من ذلك إلا إذا كانت (إنْ) مخففة من (إنَّ) لا نافية .

ومما يجرى فى هذا المضمار استعمال (ضمير الفصـــل) الذى يؤتى به فى الـكلام ليدلك من أول الأمر أن ما بعده خبر لا صفة ؛ فإذا قلت : (زيد العالم) جاز فى كلمة (العالم) أن تـكون صفة لزيد على تقـدير : هذا زيد العالم ، وجاز أن تكون خبرا عن زيد ؛ فإذا قلنا : (زيد هو العالم) كانت العالم خبرا ليس غير ، ولذلك أطلق عليه البصريون فصلا لفصله بين الخبر والصفة ، وأسماه الـكوفيون عماداً لأنه يعتمد عليه كذلك فى التفريق بين الخبر والصفة .

تدخل همزة الاستفهام على (لا) النافية للجنس ، فيبقى عمل (لا) أما من حيث الدلالة فقد يظل كل من الحرفين باقيا على معناه كقول الشاعر :

ألا اصطبارَ لسلمى أم لها جلد إذا ألاقى الذى لاقاه أمثالى

وبقاء كل من الحرفين على معناه قليل .

وقد يراد بالحرفين (الهمزة ولا) التوبيخ كقول الشاعر :

ألا ارعواء لمن دلت شبيبته وآذنت بمشيب بعده هرم

وهذا هو الغالب .

وقد يراد بالحرفين معنى التمنى كقول الشاعر :

ألا عمر ولى مستطاع رجوعه فيرأب ما أثأت يد الغفلات

وهذا كثير فى الاستعمال .

وترد (ألا) للتنبيه فتدخل على الجملتين نحو قول الله تعالى « ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم »(١) وقوله سبحانه : « ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم »(٢) .

وتأتى (ألا) للعرض والتحضيض ، وتكون خاصة بالجملة الفعلية مثالها للعرض قول الله تعالى : « ألا تحبون أن يغفر الله لكم »(٣) ومثالها للتحضيض قوله سبحانه : « ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم »(٤)

من شروط الفاعل أن يكون مرفوعا نحو : جاءنى رجل ، وقد يأتى مجروراً لفظا لامحلا فتقول : ماجاءنى من رجل فكلمة (رجل) مجرورة بمن لفظا مرفوعة محلا ، ومن يؤتى بها للتوكيد لأنها للتنصيص على عموم النفى لأنك لوقلت : (ماجاءنى رجل) قد يظن السامع أنه قد جاءك رجل ولكنك لاتحفل به ، وهو فى رأيك ليس من الرجال أما إذا قلت : (ماجاءنى من رجل) فقد انقطع هذا الظن ، وتأكد السامع أن النفى عام لجنس الرجال فالاتيان بمن داخلة على الفاعل له دلالة لاتتحقق بدونها ومن ذلك قول الله تعالى « أن تقولوا ماجاءنا من بشير ولانذير »(٥) .

---

(١) يونس ٦٢ (٢) هود ٨

(٣) النور ٣٢ (٤) التوبة ١٣

(٥) المائدة ١٩

ومما يتصل بالفاعل أن الفعل إذا لحقت به تاء التأنيث دلنا على أن فاعله مؤنث نحو جاءت نجاح ، وعلمت رجاء . فتأنيث الفعل فى المثالين دلنا على تأنيث الفاعل لأن هذين الاسمين من الأسماء المشتركة بين الذكور والإناث .

وإذا خفى الإعراب فى كل من الفاعل والمفعول للبناء أو لتعذر ظهور الحركات وخيف اللبس بين الفاعل والمفعول ، وليس لدينا قرينة تميز أحدهما من الآخر لزم أن يقدم الفاعل ويؤخر المفعول نحو : أكرم هذا هؤلاء ، وقدر موسى عيسى واحترم أخى صديقى .

فإن أمن اللبس لوجود قرينة تدل على الفاعل جاز التقديم نحو : أكرمت عيسى ليلى ، وآلمت سلمى الحمى ، لأن تاء التأنث دلت على فاعلية ليلى والإيلام يكون من الحمى .

ونقول : أكرم زيد جاره - بفتح الراء - فيعلم أن الاكرام وقع من زيد فإذا قيل : أكرم زيدا جاره - بضم الراء - كان الاكرام صادرا من الجار ، واختلاف المعنى فى هذين التركيبين راجع إلى الإسناد الذى يدل عليه بالضبط والإعراب .

ويختلف التعبير قولنا : ضرب زيد عمرا . عن قولنا : إنما ضرب زيد عمرا لأن المثال الأول لاحصر فيه ، بينما جاء المثال الثانى مفيدا معنى حصر ضرب زيد فى عمرو ، وقصره عليه دون غيره والذى دل على ذلك استعمال إنما التى يستفاد منها معنى الحصر .

والفعل إذا كان مبنيا للمعلوم فالمرفوع بعده يكون فاعلا فإن غيرت صيغته بضم أوله وكسر ما قبل الآخر فى الماضى ، وفتح ماقبل الآخر فى

المضارع كان مبنيا للمفعول ويكون المرفوع بعده نائبا عن الفاعل الذى لم يذكر للجهل به ، أو للخوف منه ، أو عليه . نحو : (سُرق المال) والمرفوع بعد الفعل هو المفعول به حقيقة ، وإن جاء مرفوعا ، لأن السرقة وقعت على المال وهذا هو معنى المفعولية .

إذا قلت : لقيته مهموماً راضياً فقد تعدد الحال (مهموما راضيا) واختلف لفظ الحالين فيجب التفريق بينهما بغير عطف ، ويقدر أول الحالين لثانى الاسمين وثانى الحالين لأول الاسمين ، وهذه دلالة كل تركيب على هذا النحو ؛ ومنه قول الشاعر :

عهدت سعاد ذات هوى معنى فزدت دعاء سلوانا هواها

وقد تأتى الحال على الترتيب إن أمن اللبس ؛ لوجود قرينة تدل على صاحب كل من الحالين ، ومن ذلك قول الشاعر :

خرجت بها أمشي تجر وراءنا على أثرينا ذيل مرط مرحل

وتقول (جئتك احتراما) فيختلف مدلول هذا التركيب باختلاف إعراب كلمة (احتراما) .

فإذا قلنا إن المصدر (احتراما) بمعنى اسم الفاعل (محترماً) أعرب حالا وإن قلنا ان المصدر (احتراماً) جاء علة للفعل (جاء) أعرب مفعولا لأجله لأنه مصدر شارك فعله فى الزمان والفاعل ، لأن زمن المجيء والاحترام واحد ، وفاعلهما واحد وهو المتكلم ، والمصدر قلبي . والعامل فى المصدر (احتراما) فى هاتين الحالتين هو الفعل (جاء) ولنا أن نجعل المصدر (احتراما) معمولا لفعل مقدر هو (أحترم) فيكون إعرابه على أنه مفعول مطلق لهذا الفعل المقدر .

ومما اختلفت دلالته لاختلاف التوجيه فيه قول الشاعر :

علفتها عرضاً وأقتل قومها زعماً لعمر أبيك ليس بمزعم

لأننا إن قلنا إن الواو عاطفة كان الفعل المضارع (أقتل) بمعنى الماضى (قتلت) أى أنه مؤول به ، وعلى هذا يصح عطفه على الماضى قبله . والتقدير علفتها وقتلت قومها .

وإن قلنا : إن الواو للحال لزمنا أن نجعل الجملة من الفعل (أقتل) وفاعله خبرا لمبتدأ محذوف ، والتقدير : وأنا أقتل ، وجملة المبتدأ والخبر فى محل نصب حال .

والذى حملنا على ذلك أن المضارع المثبت لا يقع بعد واو الحال .

ومما اختلف مدلوله باختلاف إعرابه كلمة (بله) فى قول الشاعر :

تذر الجماجم ضاحيا هاماتها بله الأكف كأنها لم تخلق

لأنه يجوز فى كلمة (الأكف) النصب والجر والرفع ، فإذا نصبت (الأكف) كانت (بله) اسم فعل أمر بمعنى : دع أو اترك ، والأكف مفعول به .

وإذا جرت كلمة (الأكف) كانت (بله) مصدرا بمعنى الترك ، وهو مضاف والأكف مضاف إليه من إضافة المصدر إلى مفعوله .

وإذا رفعت كلمة (الأكف) كانت (بله) اسم استفهام بمعنى كيف وهى خبر مقدم والأكف مبتدأ مؤخر .

وفتحة (بله) للبناء إذا كانت اسم فعل ، أو اسم استفهام ، وتسكون للاعراب إذا قلنا إن (بله) مصدر بمعنى الترك .

ومن ذلك (إن) المخففة التى تأتى لمعان مختلفة ، وتكون على أربعة أوجه :

الوجه الأول : أن تكون شرطية نحو قول الله تعالى « وإن عدتم عدنا »[١] .

وقد تقترن بلا النافية كقوله تعالى : « إلا تنصروه فقد نصره الله »[٢]

الوجه الثانى : أن تكون نافية . وتدخل على الجملة الاسمية نحو قوله تعالى « إن الكافرون إلا فى غرور »[٣] ، وعلى الجملة الفعلية كقوله سبحانه « إن أردنا إلا الحسنى »[٤] وقوله « وإن أدرى لعله فتنة لكم »[٥] .

الوجه الثالث : أن تكون مخففة من الثقيلة ؛ وتدخل على الجملة الاسمية كقوله تعالى « وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا »[٦] وعلى الجملة الفعلية نحو قول الله تعالى « وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين »[٧] .

الوجه الرابع : أن تكون زائدة ، وأكثر ماتزاد بعد (ما) النافية كقول الشاعر :

---

(١) الاسراء ٨
(٢) التوبة ٤٠
(٣) الملك ٢٠
(٤) التوبة ١٠٧
(٥) الأنبياء ١١١
(٦) الزخرف ٣٥
(٧) الأعراف ١٠٢

فما إن طبُّنا جبن ولكن منايانا ودولة آخرينا

وقد تزاد بعد (ما) المصدرية كقول الشاعر :

درج الفتى للخير ما إن رأيته على السن خيرا لايزال يزيد

وزعم الكوفيون أن (إن) تأتى بمعنى (إذ) وجعلوا منه قول الله سبحانه « واتقوا الله إن كنتم مؤمنين »(١)

ورد الجمهور على هذا الزعم بأن هذا شرط جيء به لغرض التهييج والالهاب ، كما تقول لابنك : إن كنت ابنى فلا تفعل مايشينك(٢).

ومما يختلف دلالته « أنْ » بفتح الهمزة وسكون النون - وتكون على وجهين : اسم وحرف

والاسم على وجهين : ضمير المتكلم فى قول بعضهم (أنْ فعلتُ) وأكثر النحويين على فتح النون وصلا ، والإتيان بالألف وقفاً

وضمير المخاطب فى (أنتَ وأنتِ وأنتما ... الخ) على القول بأن الضمير (أنْ) والتاء حرف خطاب

و (أنْ) الحرفية على أربعة أوجه :

أن تكون حرفاً مصدرياً ناصباً للمضارع ؛ نحو « عسى الله أن ينصر المجاهدين » و (أن) هذه موصول حرفى ، وتوصل بالفعل المتصرف مضارعا ، أو ماضياً نحو : لولا أن عفونا عنك لهلكت ، أو أمراً ، نحو (كتبت إليه بأن قمْ)

---

(١) المائدة ٥٧

(٢) انظر مغنى اللبيب ج ١ ص ٢٥ - ٢١

الوجه الثانى : أن تكون (أنْ) مخففة من الثقيلة ؛ فتقع بعد فعل اليقين، أوْ ما نزل منزلة اليقين ، ومنه قول الله تعالى : (أفلا يَرَون ألا يرجع إليهم قولا[1]) و(أن) هذه تنصب الاسم وترفع الخبر . وشرط اسمها أن يكون ضميراً محذوفاً وقد يثبت فى الضرورة ؛ وشرط خبرها أن يكون جملة

الوجه الثالث : أن تكون (أن) مفسرة بمنزلة (أىْ) وشرطها :

- أن تسبق بجملة .
- أن تأتى بعدها جملة .
- أن يكون فى الجملة السابقة معنى القول .
- أن تخلو الجملة السابقة من أحرف القول .

مثال (أن) المفسرة قول الله تعالى : «ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون »[2] .

الوجه الرابع : أن تكون (أن) زائدة ، ويكون ذلك فى أربعة مواضع

أن تقع بعد (لما) الحينية ، وهو أكثرها كقوله تعالى : « فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيراً »[3] .

أن تقع بين لو وفعل القسم ، كقوله :

فأقسم بالله أن لو التقينا وأنتم لكان لكم يوم من الشر مظلم

أن تقع بين الكاف ومجرورها ، وهو نادر كقوله :

ويوما توافينا بوجه مقسم كأن ظبية تعطو إلى وارق السلم

---

(١) طه ٨٩ . (٢) الأعراف : ٤٣

(٣) يوسف : ٩٦ .

فى رواية جر (ظبية) .

أن تقع بعد (إذا) ، كقوله :

فأمهله حتى إذا أن كأنه معاطى يد فى لجة الماء غامر

ومما يختلف معه مدلول المركب (أم) لأنها تأتى على وجهين :

الوجه الأول : أن تكون متصلة نحو قول الله سبحانه : « سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص »(١) .

وإنما سميت متصلة ؛ لأن ماقبلها وما بعدها لا يستغنى بأحدهما عن الآخر

الوجه الثانى : أن تكون (أم) منقطعة بمعنى أنه لا يفارقها الإضراب فتكون بمعنى (بل) .

و (أم) المنقطعة قد تأتى للاضراب مجردا . وقد تتضمن مع الإضراب استفهاماً . وهذا الاستفهام قد يكون إنكارياً ، وقد يكون طلبياً .

مثال : (أم) المنقطعة للاضراب المجرد ، قول الله تعالى : « هل يستوى الأعمى والبصير ، أم هل تستوى الظلمات والنور ، أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم »(٢) .

أما الأولى فلأن الاستفهام لا يدخل على الاستفهام ، وأما (أم) الثانية فلأن المعنى على الإخبار عنهم .

ومن مجىء (أم) للاضراب المضمن استفهاما إنكاريا قول الله سبحانه « أم له البنات ولكم البنون »(٣) . التقدير : بل أله البنات ولكم البنون ؛ لأن (أم) لو كانت للاضراب المجرد لزم المحال .

---

(١) إبراهيم : ٢١ (٢) الرعد : ٢٦ (٣) الطور ٣٩ .

ومثال النوع الثالث قولهم : إنها لإبل أم شاه ، التقدير : بل أهي شاه ، وقد تأتي (أم) محتملة للاتصال والانقطاع كما في قول الله تعالى : (قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده . أم تقولون على الله ما لا تعلمون)(١) فيمكن أن تكون (أم) معادلة ، بمعنى أي الأمرين كائن على سبيل التقرير ، ويجوز أن تكون منقطعة(٢) .

وتأتي « إما » لمعان متباينة تختلف باختلاف التراكيب ، فإذا قلت : « يصحبني إما زيد وإما عمرو » كانت « إما » للشك

وإذا سمعت قول الله تعالى « وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم »(٣) أدركت أن « إما » هنا جاءت دالة على الإبهام .

وفي قوله تعالى « إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى » أفادت « إما » معنى التخيير .

وقد تأتي « إما » دالة على الإباحة نحو : « تعلم إما نحواً وإما أدبا » ويستفاد من « إما » في قوله تعالى « إنا هديناه السبيلا إما شاكرا وإما كفورا »(٥) التفصيل .

أما قول الله سبحانه : (فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما)(٦)

---

(١) البقرة ٨٠ (٢) انظر مغني اللبيب جـ ١ ص ٤٧ .

(٣) التوبة : ١٠٦ (٤) طه ٦٥

(٥) الدهر : ٣ (٦) مريم ٢٦

فليست (إما) الواردة فى الآية مما ذكرنا ، وإنما هى (إن) الشرطية وما الزائدة ، بدليل الجواب المقرون بالفاء (فقولى)

وتأتى (أو) مشاركة لإما فيما دلت عليه من معان وتزيد عليها فى أنها تكون بمعنى الواو أى للجمع المطلق ومنه قول الشاعر :

قوم إذا سمعوا الصريخ رأيتهم ما بين ملجم مهره أو سافع

وتستعمل بمعنى (إلا) نحو (لأقتلن المرتد أو يتوب) أى إلا أن يتوب وبمعنى (إلى) ومنه قول الشاعر :

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى فما انقادت الآمال إلا لصابر

وقد تأتى (أو) محتملة معنى (إلا) و (إلى) كما فى قول امرىء القيس :

فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

أى إلا أن نموت ، أو إلى أن نموت .

وتجىء (أو) دالة على الإضراب كبل ، وقد اشترط سيبويه لذلك شرطين :

الأول : تقدم نفى أو نهى

الثانى : إعادة العامل

مثال ما استوفى الشرطين قولك : (لا يخرج زيد أو لا يخرج عمرو) ويؤيد ذلك ماجاء فى القرآن الكريم . (ولا تطع منهم آثما أو كفورا)[1]

---

(١) الدهر ٢٤

فالآية تنهى عن إطاعة الآثم والكفور . ولو قيل : أو لاتطع منهم كفورا تغير مدلول العبارة وصار إضرابا عن النهى الأول ، ونهيا عن الثانى لاغير .

ويرى الكوفيون وأبو على ، وأبو الفتح وابن برهان أن (أو) تأتى للاضراب مطلقا .

ومما اختلفت دلالته (إلا) التى تكون للاستثناء ، أى إخراج مابعدها عن حكم ما قبلها نحو قول الله سبحانه (فشربوا منه إلا قليلا منهم)[1]

وتأتى بمنزلة (غير) فتكون مع تاليها وصفا لجمع منكر أو شبهه .

مثال الجمع المنكر قول الله تعالى (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا)[2]

لأننا لو قدرنا (إلا) استثنائية لفسد المعنى ، لأن التقدير يكون لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا ، ومفهوم هذا الكلام أنه لو كان فيهما آلهة فيهم الله لم تفسدا ، وهذا غير مراد لأنه يؤدى إلى الشرك .

ومن ناحية اللفظ لا يجوز أن تكون (إلا) للاستثناء لأن كلمة آلهة جمع منكر فى كلام مثبت ، فلا عموم له ، فلا يصح منه الاستثناء[3]

ويرى بعض النحويين أن (إلا) فى قوله تعالى (إنى لا يخاف لدى المرسلون إلا من ظلم ، ثم بدل حسنا بعد سوء فإنى غفور رحيم[4]

---

(١) البقرة ٢٤٩

(٢) الأنبياء ٢٢

(٣) انظر مغنى اللبيب ١/٧٠

(٤) النمل ١٠-١١

ويرى بعضهم أن إلا عاطفة بمنزلة الواو والتقدير : ولا الذين ظلموا، ولا من ظلم .

ويرى جمهور النحويين أنها من الاستثناء المنقطع .

وتأتى (إلا) زائدة ومنه قول الشاعر :

حراجيج ما تنفك إلا مناخة على الخسف أو نرمى بها بلدا قفرا

إذا قلت : (أى بنى كن مهذبا) كانت (أى) حرف نداء . فإذا قيل : هذا عسجد أى ذهب ، وهذا غضنفر : أى أسد . كانت (أى) حرف تفسير وما بعدها يعرب عطف بيان على ما قبلها — وهذا هو الأولى أو يعرب بدلا . وأى فى الحالتين بسكون الياء فاذا جاءت (أى) بتشديد الياء كانت اسما وتأتى على أوجه :

فهى فى قول الله تعالى: (أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين)[1] تفيد الاستفهام .

وتدل فى قول الله سبحانه (أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى)[2] على الشرط وتكون اسما موصولا فى قول الله تعالى (ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا)[3] أى الذى هو أشد .

وفى مثل قولنا (أنت رجل أىّ رجل) ومررت بعمرو أىّ رجل تكون دالة على الكمال وهى فى المثال الأول نعت وفى الثانى حال .

---

(١) النمل ٣٨

(٢) الاسراء ١١٠

(٣) مريم ٦٩

وتأتى (أى) وصلة إلى نداء ما فيه (ال) نحو يا أيها الرجل .

وأى تكون معربة فى جميع حالاتها ويجوز بناؤها إذا كانت موصولة وحذف صدر صلتها كما فى قول الله تعالى (ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا) .

فأى بنيت على الضم فى محل نصب لأنها مفعول به وجاءت اسما موصولا مضافا وحذف صدر صلتها . والتقدير : أيهم هو أشد وقرىء (أيهم أشد) بالنصب على الإعراب . ولذلك جاء بالوجهين قول الشاعر :

إذا ما لقيت بنى مالك فسلم على أيهم أفضل

بضم أيهم على البناء وجره على الإعراب .

ومما جاء بدلالات مختلفة فى التراكيب العربية حروف الجر ومن ذلك الباء فإنها تأتى لمعنى (الإلصاق) وهو معنى لا يفارقها ولذلك اقتصر عليه سيبويه ومثاله قولنا : أمسك الطفل بأبيه بمعنى أنه قبض على شىء من جسمه أو على ما يحبسه من ثوب ونحوه ؟

وتأتى الباء دالة على السببية نحو قول الله تعالى (فكلا أخذنا بذنبه)[1] لأن العذاب والهلاك يكون بسبب الذنب .

وتكون للاستعلاء ومنه قول الشاعر :

أرب يبول الثعلبان برأسه لقد هان من بالت عليه الثعالب

وفى قول الله تعالى (وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن)[2] دلت الباء على الغاية فإن قيل : إن الفعل (أحسن) ضمن معنى الفعل (لطف)

---

(١) العنكبوت : ٤٠ (٢) يوسف : ١٠٠

كان ذلك دلالة من نوع آخر .

وتأتى الباء دالة على التوكيد ، وهى التى يطلقون عليها (الزائدة) لأن ما بعدها يكون مجروراً لفظا لا محلا .

وزيادتها قد تكون واجبة فى نحو : (أحسن بعمرو) .

وقد تكون الزيادة غالبة ، وهى الداخلة على فاعل (كفى) نحو : كفى بزيد عالما وكفى بهند حانية .

فإن كانت (كفى) بمعنى أجزأ ، أو أغنى ، أو بمعنى وقى لم تأت الباء فى فاعلها وتزاد الباء فى المفعول به ، نحو قول الله - تعالى - : (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم)[1] .

وفى المبتدأ نحو قولهم : بحسبك درهم .

وفى الخبر كقوله - سبحانه - (أليس الله بكاف عبده)[2] .

وفى (الجارة) تكون للظرفية الحقيقية مكانية أو زمانية ، نحو قول الله تعالى : (غلبت الروم فى أدنى الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين)[3] .

وتأتى (فى) دالة على الاستعلاء كما فى قول الشاعر :

* بطل كأن ثيابه فى سرحة *

---

(١) الحج : ٢٥

(٢) الزمر ٣٦

(٢) الروم ٢ ، ٢ ، ٤

(٤) طه ٧١

ونحو قول الله - سبحانه - (ولأصلبنكم فى جذوع النخل ، ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى)[1] .

وقيل: لما كان الصلب بمعنى الاستقرار عدى بفى، كما يعدى الاستقرار فهو من قبيل الفعلين أحدهما فى مكان الآخر .

و (على) تكون للاستعلاء ، وهو المعنى الأصلى لها ، كقول الله : (وعليها وعلى الفلك تحملون)[2] وهذا استعلاء حقيقى ، وقد يكون الاستعلاء مجازيا ، كقوله - سبحانه - (والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق)[3] .

وتأتى (على) دالة على الظرفية : كقوله - سبحانه - : (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها)[4] : أى فى حين غفلة

وتكون للتعليل كاللام ، ومنه قول الشاعر :

* علام تقول : الرمح يثقل عاتقى *

وقد جاءت فى قول الله تعالى : (ويل للمطففين ، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون)[5] بمعنى (من) : أى اكتالوا من الناس .

وإنما آثر التعبير القرآنى لفظ (على) لأن المطفف فى الكيل يكون ظالما ومتسلطا وهذا النوع من طبعه الاستعلاء ، ولأنه لم يعهد هذا التصرف من عاجز أو ضعيف .

وتأتى (على) دالة على الاستدراك والإضراب ، ومن ذلك قول الشاعر:

---

(١) طه : ٧١ (٢) المؤمنون : ٢٢

(٣) النحل : ٧١ (٤) القصص : ١٥

(٥) المطففين : ١ ، ٢

بكل تداوينـــا فلم يُشْفَ ما بنا على أن قرب الدار خير من البعد
على أن قرب الدار ليس بنافع إذا كان من تهواه ليس بذى ود

و (عن) الجارة تدل على المجاوزة ، وهو معناها الأصلى ، كقولك : (سرت عن البلد ، وعزفت عن الشر ، ورغبت عن الزاد) .

وقد جاءت (عن) فى قول الشاعر :

لاه ابن عمك لا أفضلت فى حسب عنى ، ولا أنت ديانى فتخزونى

أى لا أفضلت فى حسب على ، بمعنى (على) .

وتأتى موافقة لمعنى (من) كقوله سبحانه : (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده)[1] : أى من عباده .

وفى قول الله تعالى : (واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا)[2] جاءت (عن) بمعنى (بدل) ومن ذلك الحديث : (صومى عن أمك) : أى بدل أمك .

وتأتى دالة على التعليل ، فتكون بمعنى اللام ، ومن ذلك قول الله تعالى : (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه)[3] : أى إلا لموعدة .

وفى قول الله تعالى : (وما ينطق عن الهوى)[4] إن ضمن الفعل (ينطق) معنى الفعل (يصدر) كانت عن بمعناها ، وإن لم يكن فى الكلام تضمين كانت (عن) موافقة لمعنى الباء .

---

(١) الشورى : ٢٥ (٢) البقرة : ١٢٣
(٣) التوبة : ١١٤ (٤) النجم : ٣

(وإلى) الجارة تأتى لانتهاء الغاية ، مكانية كقول الله سبحانه : (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى)(١) .

وزمانية كقولك : سرت من الصباح إلى المساء .

وتأتى للدلالة على المصاحبة ، نحو قوله تعالى : (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم)(٢) وتكون موافقة معنى (فى) نحو قوله تعالى : (ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه)(٣) : أى ليجمعنكم فى يوم القيامة ، ومنه قول النابغة :

فلا تتركنى بالوعيد كأننى إلى الناس مطلى به القار أجرب

وتأتى للتوكيد على اعتبار زيادتها ، ومن ذلك قراءة بعضهم (فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم)(٤) بفتح الواو لأن (هوى يهوى) بفتح الواو فى الماضى وكسرها فى المضارع - يتعدى بإلى ، وهى القراءة المشهورة ، (تهوى إليهم) فإن كان الفعل : هوى يهوى - بكسر الواو فى الماضى ، وفتحها فى المضارع - كان متعديا بنفسه ، وعلى هذا تكون اللام زائدة .

وقيل : إن (تهوى) ضمن معنى (تميل) وعلى هذا فلا تكون (إلى) زائدة . ومن معانى إلى (التبيين) وهى الدالة على أن مجرورها يكون فاعلا فى المعنى إذا وقعت (إلى) بعد ما يفيد حبا أو كرها من فعل تعجب أو اسم تفضيل تقول : (عمرو أحب إلى) فتكون أنت المحب ، ومنه قول الله

---

(١) الاسراء : ١
(٢) النساء : ٢
(٣) الأنعام : ١٢
(٤) إبراهيم : ٣٧

ـ تعالى ـ : (قال رب السجن أحب إلى مما يدعوننى إليه)[١] .

فإن قلت : (عمرو أحب لى) أفهم الكلام حب عمرو إياك ، وكانت اللام مبينة للمفعول معنى ، ودالة عليه .

كما جاءت (إلى) دالة على انتهاء الغاية ، جاءت لهذا المعنى (حتى) و (اللام) إلا أن دلالة (إلى) على هذا المعنى أمكن من (حتى) ؛ لأنك تقول : (سرت البارحه إلى نصفها) ، ولا يجوز أن تقول : (حتى نصفها) ؛ لأن مجرور (حتى) يلزم أن يكون آخرا أو متصلا بالآخر ، نحو قوله ـ تعالى ـ : (سلام هى حتى مطلع الفجر) .[٢] واستعمال (اللام) للانتهاء قليل ، نحو قول الله ـ تعالى ـ : (كل يجرى لأجل مسمى)[٣] . ومما يجب أن يعول عليه فى هذا المقام أنه إن دلت قرينة على دخول ما بعد (إلى) و (حتى) فيما قبلهما ، أو دلت على خروجه عمل بهذه القرينة ، ومثال ما دلت القرينة على دخوله فيما قبل إلى وحتى قولك : قرأت القرآن من أوله إلى آخره ، وقول الشاعر :

ألقى الصحيفة كى يخفف رحله والزاد حتى نعله ألقاها

لأن المراد أنه ألقى كل ما يثقله ، والنعل من جملة ما يثقله .

ومما دلت فيه القرينة على أن ما بعد (إلى) و (حتى) غير داخل فيما قبلهما ، قول الله ـ تعالى ـ (ثم أتموا الصيام إلى الليل)[٤] وقول الشاعر :

---

(١) يوسف : ٣٣ (٢) القدر : ٥

(٣) لقمان : ٢٩ (٤) البقرة : ١٨٧

سقى الحيا الأرض حتى أمكن عزيت لهم ، فلا زال عنها الخير محدودا

فالليل غير داخل فى وقت الصوم ، وأما كن هؤلاء القوم لم يروها المطر بدليل قوله : فلا زال عنها الخير محدودا .

وإذا انتقلنا إلى (من) الجارة وجدنا أنها فى قول الحق سبحانه : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون »(١) قد جاءت دالة على التبعيض .

وعلامتها صحة الاتيان ببعض فى مكانها . ولهذا قرىء : (من بعض ما تحبون) وفى قول الله سبحانه : « يحلون فيها من أساور من ذهب »(٢) جاءت (من) دالة على بيان الجنس ، وعلامتها أنه يصح الإخبار بما بعدها عما قبلها ، فنقول . الأساور ذهب .

وفى قول الله ـ سبحانه ـ « سبحان الذى أسرى بعباده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى »(٣) وقوله : « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه »(٤) قد جاءت دالة على ابتداء الغاية المكانية والزمانية .

وتأتى دالة على التعليل نحو قول الله ـ تعالى ـ « مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا »(٥)

وقول الفرزدق :

يغضى حياء ويغضى من مهابته فما يكلم إلا حين يبتسم

---

(١) آل عمران ٩٢ (٢) الحج ٢٣ (٥) نوح ٢٥

(٣) الاسراء ١ (٤) التوبة ١٠٨

وتأتى بمعنى (بدل) كقوله - تعالى - « أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة »(١)

ومثله قول الشاعر :

أخذوا الفصيل من المخاض غلبة ظلما ويكتب للأمير أفيلا

وتأتى دالة على الظرفيه بمعنى (فى) نحو قوله سبحانه « إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله »(٢) .

وتأتى دالة على التنصيص على العموم ؛ وهى الداخلة على نكرة لاتختص بالنفى نحو قولك (ماجاءنى من رجل) .

أو تأكيد التنصيص على العموم ، وهى الداخلة على نكرة تختص بالنفى أو شبهه ، مثل أحد وديار .

(من) فى هذا المقام تكون زائدة ، ولها شروط :

١ - أن يسبقها نفى أو نهى أو استفهام ، فلا تزاد فى الإثبات إلا فى تمييز (كم) الخبرية .

إذا فصل منها بفعل متعد ، نحو قول الله تعالى « كم تركوا من جنات وعيون »(٣)

٢ - أن يكون مجرورها نكرة .

٣ - أن يكون هذا المجرور إما فاعلا ، نحو قول الله - سبحانه - « أن تقولوا ماجاءنا من بشير ولا نذير »(٤) أو مفعولا نحو قول الله تعالى

---

(١) التوبة ٣٨

(٢) الجمعة ٩

(٣) الدخان ٢٥

(٤) المائدة ١٩

«هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا »[١] أو مبتدأ نحو قول الله تعالى « هل من خالق غير الله يرزقكم »[٢]

ولا يفهم من زيادة (من) أن وجودها وعدمها سواء ، لأن ذلك يكون خلطاً فى الفهم وانحرافا فى الفكر ، وإنما يراد بهذا القول أن (من) جرت مادخلت عليه لفظا لا محلا ، ولذلك نعطف على مادخلت عليه بالرفع إن كان فاعلا وبالنصب إن كان مفعولا ومع عملها الجر لفظا فقد أفادت التوكيد والاستغراق ، ولا يمكن تحقيق ذلك إذا لم تأت (من) على هذا النحو من الاستعمال .

ومن الدلالات النحوية التى تدلك على مراد المتكلم ماجاء فى قول الأحوص :

لئن كان النكاح أقل شىء   فإن نكاحها مطرا حرام

فقد جاء هذا البيت بنصب كلمة (مطر) ورفعها وجرها .

فعلى قوله : فإن نكاحها مطرا حرام بنصب كلمة (مطر) يكون من إضافة المصدر (نكاح) إلى فاعله وهو (ها) ضمير المرأة ، و (مطر) مفعول المصدر وعلى رفع كلمة (مطر) يكون من إضافة المصدر إلى مفعوله ثم ذكر فاعله وهذا قليل ، لأن الغالب عند إضافة المصدر إلى مفعوله حذف فاعله ، ومن ذلك قول الله تعالى « لا يسأم الإنسان من دعاء الخير »[٣]

---

(١) مريم ٩٨   (٢) فاطر ٣   (٣) فصلت ٤٩

ولم يرد فى القرآن ذكر فاعل المصدر على هذا النحو إلا فى قراءة من قرأ (ذكر رحمة ربك عبده زكريا)[1] برفع عبده وزكرياء . والقراءة المشهورة ، ذكر رحمة ربك عبده زكريا ، من إضافة المصدر (ذكر) إلى الفاعل (رحمة) وذكر المفعول (عبده) .

وإن جاءت كلمة (مطر) مجرورة أعربت مضافة إلى المصدر على أنها فاعل وفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول ، ونظير ذلك قول الشاعر :

عتوا إذ أجبناهم إلى السلم رأفة فسقناهم سوق البغاث الأجادل

فقد جاء المصدر (سوق) مضافا إلى الفاعل (الأجادل) وفصل بينهما بالمفعول (البغاث) .

ولذلك إذا قيل سرنى إكرام زيد عمراً ، بجر زيد ونصب (عمرا) كان (زيد) فاعل المصدر ، و (زيدا) مفعول المصدر .

فإن قيل (سرنى إكرام زيد عمرو) بجر (زيد) ورفع (عمرو) كان (عمرو) فاعل المصدر ، و (زيد) أضيف إلى المصدر من إضافته إلى مفعوله .

وإن قلت : سرنى فهم النحو ، وأعجبنى فهم عمرو ، كان الفهم فى المثال الأول مضافا إلى المفعول ، وفى المثال الثانى مضافا إلى الفاعل .

ولك أن تقول سرنى فهم النحو والصرف - بجر الصرف ونصبه ورفعه

---

(١) مريم ٢

ويوجه جر كلمة (الصرف) بأنها معطوفة على النحو باعتبار لفظها لأنها مضاف إليه .

والنصب فى كلمة (الصرف) يكون عطفا على محل كلمة (النحو) لأن النحو مضاف إلى الفهم من إضافة المصدر إلى مفعوله ، وهو مجرور لفظا منصوب محلا وإن رفعت كلمة (الصرف) كان على تقدير سرنى أن فهم النحو والصرف ، ثم ناب المصدر عن الفعل المبنى للمفعول ، فالنحو مضاف إليه من اضافة المصدر إلى نائب الفاعل ، فهو مجرور لفظا مرفوع محلا ، فإذا رفعت كلمة (الصرف) كان بالعطف على محل نائب الفاعل .

والحركة الإعرابية مع معمول المصدر لها دورها الذى تؤديه مع معمول الفعل ، فكما أنك تميز الفاعل من المفعول بعد الفعل بالحركة الإعرابية كذلك الحال بالنسبة إلى المصدر فإذا قلت : أكرم زيد عمرا ـ برفع زيد ونصب عمرو ـ كان زيد فاعلا وعمرو مفعولا ، فإن قلت : أكرم زيدا عمرو ـ بنصب زيد ورفع عمرو ـ كان زيد مفعولا وعمرو فاعلا .

وفى المصدر تقول : أعجبنى تقدير زيد عمراً ، فيكون زيد الفاعل وعمرو المفعول ، فإن قلت . أعجبنى تقدير زيد عمرو برفع عمرو كان زيد مفعولا وعمرو فاعلا .

هذا عمل الإعراب فى لغتنا العربية ، ودوره الكبير فى فهم المعانى ، وإدراك ماتدل عليه التراكيب ، دون عناء فى الوصول إلى الغاية ، أو لبس أو انحراف عن الغاية المرجوة من التفاهم باللغة ، ونقل الأفكار وتوصيل المعلومات .

إذا قلت : (نعم الرجل زيد) فقد ذهب أكثر النحويين إلى أن (ال) فى فاعل (نعم) تدل على الجنس ، ثم اختلفوا ، فقيل : إن الدلالة على الجنس حقيقة ؛ فإذا قلت : نعم الرجل زيد ؛ فالجنس كله ممدوح ، وزيد مندرج تحت الجنس لأنه فرد من أفراده.

وقيل إن دلالة (ال) فى الرجل على الجنس من قبيل المجاز ؛ فإذا قلت نعم الرجل زيد ، جعلت زيداً جميع الجنس مبالغة ولم تقصد غير مدح زيد .

وذهب بعض النحويين إلى أن دلالة ال فى (الرجل) عهدية ، ثم اختلفوا فقيل : المعهود ذهنى ، كما يقال : اشتر اللحم أو الخبز ، ولا تقصد الجنس ولا معهودا تقدم ، ومن ذهب إلى هذا يريد وقوع الإبهام أولا ثم يأتى بالتفسير بعد ذلك تضخيما للأمر .

وقيل : المعهود هو الشخص الممدوح ؛ فإذا قلت : نعم الرجل زيد ، فكأنك قلت : (زيد نعم هو) فيكون (الرجل) من وضع الظاهر موضع الضمير ، وال للعهد الخارجى الذكرى .

ومما جاء دالا على المدح أو الذم غير فعلى المدح والذم (نعم وبئس) ما جاء على وزن (فَعُل) مرادا به هذا المعنى بشرط أن يكون ثلاثيا صالحا للتعجب منه ويستوى فى ذلك ما جاء على (فعل) ، بالأصالة نحو : شرف وظرف وكرم وخبث ولؤم ، أو بالتحويل ، إذا كان مفتوح العين ، أو مكسورها ، نحو : علم ، وفهم ، وضرب ودرس ، ثم يجرى مجرى (نعم) و (بئس) فى إفادة وفى حكم الفاعل والمخصوص .

تقول : فهُم الرجل عمرو ، وخبث الرجل زيد ، ومن أمثلة ذلك (ساء)

فإنه فى الأصل (سوأ) ، (بالفتح) ثم حول إلى (فعل) بالضم ثم يقال تحركت الواو وفتح ما قبلها فقلبت ألفا ؛ فصار (ساء) على وزن (فعل) وصار جامداً قاصراً بعد أن كان متصرفا ومتعديا ، وعومل معاملة (بئس) فى أحكامه ، تقول : (ساء الرجل أبو جهل) ، وفى التنزيل : « وساءت مرتفقا[1] » « ساء مايحكمون »[2] ، قال الشاعر :

حُبَّ بالزور الذى لا يرى منه إلا صفحة أو لمام

أصله : حَبُبَ الزور ، فزاد الباء فى الفاعل (الزور) وأدغم إحدى البائين فى الأخرى بعد نقل حركة الباء الأولى إلى الحاء .

يصاغ اسم على وزن (أفعل) ليدل على مشاركة شيئين فى صفة وزيادة أحدهما على الآخر فيها هذه هى دلالة الصيغة ، نحو : عمرو أعلم من زيد .

وقد تأتى هذه الصيغة غير دالة على هـذا المعنى ، نحو قول الله تعالى : «ربكم أعلم بكم »[3] . « وهو أهون من عليه[4] » ؛ لأنه لا مشارك له - سبحانه - فى علمه ، وجميع المقدورات بالنسبة إلى قدرته سواء ، فليس منها هين أو أهون ، ونحو قول الشاعر :

وإن مدت الأيدى إلى الزاد لم أكن بأعجلهم ، إذ أجشع القوم أعجل

فقوله : بأعجلهم وأعجل ، بمعنى المعجل . وقول الفرزدق :

إن الذى سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز وأطول

يريد بالبيت الكعبة . وأعز وأطول ، بمعنى : عزيزة طويلة لأن الشاعر

---

(١) الكهف ٢٩ (٢) الجاثية ٢١ .
(٣) الاسراء ٥٤ . (٤) الروم ٢٧ .

لم يقصد التفضيل .

وإن أراد بالبيت بيت المجد والشرف كان قوله : (أعز وأطول) للتفضيل : أى أن مالهم من مجد وشرف أعز وأطول مما للآخرين .

إذا كان (اسم التفضيل) مضافا إلى معرفة جازت مطابقته ، وجاز ترك المطابقة تقول : أنتم أفاضل الرجال ، وأنتم أفضل الرجال ، وترك المطابقة أولى فإن كان (أفعل) مؤولا بما لا يدل على تفضيل وجبت فيه المطابقة . ومن ذلك قولهم : الناقص والأشجع أعدلا بنى مروان (أى عادلاهم) .

إذا قيل : هذا رجل عدل كانت كلمة (عدل) نعتا لرجل ، وهى مصدر والمصدر جامد ، والجامد لا ينعت به وإنما ينعت بالمشتقات أو مافى حكمها ولذلك اختلف العلماء .

فالكوفيون يرون أنه يؤول بعادل ليكون فى معنى المشتق . أى أنه جاء دالا على معنى اسم الفاعل ولذلك جاز أن ينعت به .

وذهب البصريون إلى أن ذلك يكون على تقدير مضاف ، أى ذو عدل وإنما يؤتى بالمصدر على طريق المبالغة كأن الرجل هو العدل نفسه وهذا أبلغ مما لو قيل : هذا رجل عادل .

حتى :

تأتى (حتى) لأمور ثلاثة : انتهاء الغاية ، والتعليل ، وبمعنى إلى فى الاستثناء . والأول هو الغالب ، والأخير هو الأقل .

وتأتى (حتى) داخلة على المضارع فتفيد ثلاثة معان :

(أن) تأتى مرادفة (إلى) : أى دالة على معناها نحو قول الله تعالى :
« لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى »[١] .
أن تأتى مرادفة (كى) التعليلية ، كقول الله تعالى : « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا »[٢] .

ويحتمل أن تكون (حتى) دالة على معنى (إلى) أو على معنى (كى) التعليلية فى قول الله سبحانه : (فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله)[٣] .

أى إلى أن تفىء ، أو كى تفىء .

وتأتى (حتى) دالة على معنى (إلا) فى قول الشاعر :

ليس العطاء من الفضول سماحة حتى تجود وما لديك قليل

لأن ما بعد (حتى) ليس غاية لما قبلها ، كما أنه ليس سببا عنه ، ولكن معنى (إلا) فيه واضح ، أى إلا أن تجود وما لديك قليل .

وتأتى (حتى) حرف ابتداء : أى تبتدأ بعده الجمل وتستأنف وتدخل على الجملة الاسمية كقول جرير :

فما زالت القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة أشكل

كما تدخل على الجملة الفعلية كقول حسان :

يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

وقد تأتى (حتى) داخلة على ما تصلح فيه أن تكون بمعنى (إلى) فتكون جارة وأن تكون ناصبة على معنى واو العطف ، وأن تكون

---

(١) طه ٩١ (٢) البقرة ٢١٧ (٣) الحجرات ٩

حرف ابتداء ، وما بعدها جملة مبتدأ بها ، نحو قولهم : (أكلت السمكة حتى رأسها) ، ومنه قول الشاعر :

ألقى الصحيفة كى يخفف رحله والزاد حتى نعله ألقاها

فالجر على أن حتى جارة بمعنى (إلى) .

والرفع على أن (حتى) حرف ابتداء والجملة بعدها مستأنفة مبتدأ وخبر والنصب ، عطفا على (الزاد) أو على الاشتغال .

(لن) حرف نفى ونصب واستقبال نحو : لن أقصر فى واجب .

وقد يخرج عن معناه ، ويأتى دالا على الدعاء ، كما تأتى (لا) للدعاء ، ومن ذلك قول الشاعر :

لن تزالوا كذلكم ثم لازلـ ت لكم خالدا خلود الجبال

بدليل أنه عطف عليه (لازلت) وهو دعاء .

يأتى المضارع منصوبا بأن مضمرة بعد لام التعليل نحو : جد ليحقق أمله ، ولام التعليل يكون ما بعدها سببا فيما قبلها ، لأنه المحرك والباعث والدافع ، كتحقيق الأمل الذى يحمل على الجد ، فإذا قرأنا قول الحق سبحانه : « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا[1] » . أمسكنا عن القول بأن ما بعد اللام سببا يحمل على ما قبلها ، لأن العداوة والحزن لا يكون سببا للالتقاط ، لذلك تقول : إن اللام لا تدل على معنى التعليل وإنما جاءت دالة على الصيرورة : أى ماصار إليه الأمر ، وهذه دلالة طارئة وإذا قلت : (ليلزم كل حده) كانت اللام دالة على الأمر ، أما فى

---

(١) القصص : ٨

قول الله سبحانه : « ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك »[1] فإن اللام هنا ليست للأمر ، لأن المتكلم بها لا يملك أمراً ولا نهيا ، وإنما جاءت اللام دالة على الدعاء ، لأن المتكلمين بها فى موقف الذلة والهوان .

ومما تختلف دلالته تبعا للتوجيه الإعرابى قولهم : (لا تأكل السمك وتشرب اللبن) ، برفع (تشرب) إذا نهيب عن الأول ، وهو أكل السمك فقط ، وتكون الواو للاستئناف ، ومثلها الفاء فى قول الشاعر :

ألم تسأل الربع القواء فينطق وهل تخبرنك اليوم بيداء سملق

فالفاء هنا للاستئناف ، لأن العطف يقتضى الجزم ، والسببية تقتضى النصب ويحتمل قولهم : (لا تأكل السمك) النهى عن المصاحبة على أن الواو للحال وتشرب خبر لمبتدأ محذوف .

وإن قدرت النهى عن الجمع بينهما نصبت ، وتكون الواو للمعية .

وإن كان النهى عن كل منهما جزمت .

وعلى هذا إذا رفعت (تشرب) كان نهياً عن الأول وإباحة للثانى وإن نصبت (تشرب) كان نهياً عن الجمع بين الفعلين ، ولك فعل أحدهما وإن جزمت الفعلين كان دليلا على النهى عن وقوع كل منهما .

(ما) ومما تختلف دلالة التركيب لاختلاف معناه (ما)

وما تكون اسما وتكون حرفا وما الاسمية تكون :

١ ــ موصولة بمعنى (الذى) وتأتى مشتركة لجميع الموصولات ،ويغلب

---

(١) الزخرف ٧٧

أن تستعمل فيما لايعلم ، وقد تستعمل فى العالم ، نحو قوله - تعالى « والسماء وما بناها »(١) .

ويجـوز فيها مراعاة اللفظ ومراعاة المعنى ، وقد اجتمعا فى قول الله - سبحانه - « ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئا ولا يستطيعون »(٢) .

و (ما) الموصولة تكون معرفة دون ماعداها من أنواع (ما) .

وتأتى (ما) استفهامية ، ويسأل بها عن أعيان مالا يعقل وأجناسه وصفاته وأجناس العقلاء وصفاتهم وأنواعهم ، نحو (ماهى - مالونها)(٣) « ما ولاهم من قبلتهم التى كانوا عليها(٤) » ، وقوله « وماتلك بيمينك »(٥) وقوله جل شأنه « وما الرحمن »(٦) .

وإذا دخل عليها جار حذفت ألفها وجوبا نحو قوله - سبحانه « عم يتساءلون »(٧) « فيم أنت من ذكراها »(٨) « لم تقولون ما لاتفعلون »(٩)

وتأتى « ما » شرطية نحو قول الله تعالى « ما ننسخ من آية أو ننسها تأت بخير منها أو مثلها »(١٠)

و « ما » الشرطية فى محل نصب بالفعل بعدها .

وتأتى « ما » دالة على التعجب نحو قول الله تعالى « فما أصبرهم على

---

(١) الشمس ٥
(٢) النحل ٣
(٣) البقرة ٦٨ ، ٦٩
(٤) البقرة ١٤٢
(٥) طه ١٧
(٦) الفرقان ٦٠
(٧) النبا ٢
(٨) النازعات
(٩) الصف ٢
(١٠) البقرة ١٠٦

النار » [١] « قتل الإنسان ما أكفره »[٢]

ومحل « ما » التعجبية رفع بالابتداء ، وما بعدها خبر ، وهى نكرة تامه بمعنى شيء وتجيء « ما » نكرة موصوفة ، ولا توصف إلا إذا كانت ناقصة نحو قول الله تعالى « إن الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها »[٣] وقوله تعالى (إن الله نعما يعظكم به)[٤] أى نعم شيئا يعظكم به .

وتأتى « ما » نكرة غير موصوفة : أى تامة كقول الله تعالى (إن تبدو الصدقات فنعما هى ، وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ، ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير)[٥]

هذه هى (ما) الاسمية ، وتلك هى دلالاتها المختلفة ، وما عدا ذلك تكون ما حرفا .

وما الحرفية ترد مصدرية زمانية ، وغير زمانية ، وترد نافية ، والنافية إما أن تكون عاملة عمل ليس .

أما (ما) المصدريه الزمانية قول الله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم)[٦] أى مدة استطاعتكم .

ومثال ما المصدرية غير الزمانية قول الله سبحانه (فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا)[٧] .

---

(١) البقرة ١٧٥
(٢) عبس ١٧
(٣) البقرة ٢٦
(٤) النساء ٥٨
(٥) البقرة ٢٧١
(٦) التغابن ١٩
(٧) السجدة ١٤

ومثال (ما) النافية العاملة عمل (ليس) قول الله تعالى (ماهذا بشراً)[١]
وقوله تعالى (فما منكم من أحد عنه حاجزين)[٢]

وتأتى (ما) نافية ولا عمل لها ، وتدل على معنى التأكيد ، لأنها تأتى جوابا لقد فى الإثبات ، وقد فيها معنى التأكيد ، فكذلك ما جاء جوابا لها

ومثال (ما) النافية التى لا تعمل قول الله تعالى (فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين)[٣]

وتأتى (ما) زائدة للتأكيد ، وتكون كافة ، نحو قول الله تعالى (إنما هو إله واحد)[٤]

وتكون زائدة غير كافة نحو قول الله تعالى (فبما رحمة من الله لنت لهم[٥]) (مما خطيئاتهم أغرقوا فادخلوا نارا)[٦] (أيما الأجلين قضيت)[٧]

إذا وقعت (ما) قبل (ليس) أو (لم) أو (لا) أو بعد إلا فهى موصولة نحو قول الله تعالى (قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق[٨]) (علم الإنسان ما لم يعلم[٩]) (قال إنى أعلم ما لا تعلمون)[١٠]

وإذا وقعت بعد كاف التشبيه كان ذلك دليلا على مصدريتها ، وإن وقعت بعد الباء احتملت الموصولية والمصدرية كقوله تعالى (فأرسلنا عليهم رجزا

---

(١) يوسف ٣١
(٢) الحاقة
(٣) البقرة ١٦
(٤) الأنعام ١٩
(٥) آل عمران ١٥٩
(٦) نوح ٢٥
(٧) القصص ٢٨
(٨) المائدة ١١٦
(٩) العلق ٥
(١٠) البقرة ٣٠

من السماء بما كانوا يظلمون »[١] .

وحيث وقعت « ما » بين فعلين سبقا بعلم أو دراية أو نظر جاز أن تكون موصولة وأن تكون استفهامية ، نحو قول الله ـ سبحانه ـ : «وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون[٢] ـ وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم[٣] ـ ولتنظر نفس ما قدمت لغد[٤] » وحيث وقعت «ما» فى القرآن قبل «إلا» فهى نافية إلا مواضع أحصاها السيوطى فى « كتاب الإتقان » وحصرها فى ثلاثة عشر موضعا[٥] .

وبناء على ما تقرر من أحوال (ما) فإننا إذا قلنا : (ما أحسن عمرا) بفتح النون ، ونصب (عمرا) تسكون قد تعجبنا من حسن عمرو ، لأن (ما) تعجبية ،وهى نكرة تامة بمعنى (شىء) وقد وقعت مبتدأ ، وما بعدها خبر.

وإذا قلنا : ما أحسن عمرو ـ بفتح النون ، ورفع « عمرو » دلنا هذا التركيب على نفى الإحسان عن عمرو ؛ لأن (ما) نافية .

وإذا كان التركيب « ما أحسن عمرو ؟ » بضم النون ، ورفع «عمرو» كان الكلام دالا على الاستفهام ، وكان المراد معرفة الحسن من عمرو ، هل هو خلقه ؟ أو علمه ؟ أو جهاده ؟ أو فكره ؟ أو مظهره ؟ إلى غير ذلك من خصائص الإنسان .

---

(١) الاعراف ١٦٢ (٢) البقرة ٣٣

(٣) الأحقاف ٩ (٤) الحشر ١٨

(٥) راجع الانعام فى علو القرآن للسيوطى ٢/٢٨٧ ـ ٢٩٠

وقد روى أن أبا الأسود الدؤلى قالت له ابنته : ما أحسن السماء - بضم النون - فقال لها : نجومها .

فقالت : إنى لم أرد هذا ، وإنما تعجبت من حسنها .

فقال لها : إذن فقولى : ما أحسَنَ السماء !

ولعلنا ندرك أن اللحن فى الضبط أدى إلى الخطأ فى الفهم ، وغير المعنى المراد ، ويؤيد ذلك أننا لو قلنا : إن هذا لزيد - بكسر اللام - اختلف مدلول التركيب عن قولنا : إن هذا لزيد - بفتح اللام - لأن التركيب الأول جاءت اللام فيه جارة دالة على الملكية ، والمشار إليه شىء يدخل فى ملكية زيد ، والجار والمجرور متعلق الخبر .

أما التركيب الثانى فاللام فيه هى لام الابتداء ، أو اللام الفارقة ، ويدل هذا التركيب على أن المشار إليه هو زيد ، واسم الإشارة مبتدأ و (زيد) خبر .

ولو قلت : « إن هذا المال لك ، وإن هذا لأنت » فتحت اللام فى المثالين لأن اللبس قد زال ، لأن لام الجر يجب فتحها إذا دخلت على الضمير ولام الابتداء لا تدخل فى مثل هذا التركيب (١) .

ومن ذلك إذا قلت : « لا رجل فى الدار » اختلف مدلوله عن قولك : لا رجلٌ فى الدار لأن التركيب الأول جاءت فيه كلمة (رجل) مفتوحة ، فدلتنا الفتحة على أن (لا) جاءت لنفى الجنس .

---

(١) انظر معانى القرآن وإعرابه للزجاج تحقيق الدكتور عبد الجليل عبده شلبى ج ١ ص ٣ ، ٤

أما التركيب الثانى فقد جاءت كلمة (رجل) مرفوعة ، ورفعها يدل على أنها لنفى الوحدة وهى عاملة عمل ليس ، ولذلك يجوز أن يقال : لا رجل فى الدار بل رجلان ، أو بل رجال ، ولا يمكن ذلك بعد (لا) التى لنفى الجنس ، لأنها تفيد نفى الجنس على سبيل الاستغراق .

وتأتى (كم) فى التراكيب العربية دالة على الاستفهام أو الأخبار ، وتمييزها يبين المراد منها ، فإن جاء مفردا منصوبا كانت (كم) استفهامية ، ولا يأتى التمييز مجرورا إلا إذا جرت (كم) نحو : بكم درهم اشتريت .

وأما (كم) الخبرية فإن تمييزها يكون مجروراً مفرداً أو جمعا ، والإفراد أكثر وأبلغ ، تقول : كم رجل جاءك ، وكم رجال جاءوك .

وتختلف دلالة التركيب باختلاف نوع (كم) من وجوه :

الأول : أن المتكلم بكم الخبر لا يستدعى جوابا من مخاطبه .

الثانى : أن المتكلم بكم الخبرية يتوجه إليه التصديق والتكذيب .

الثالث : أن المبدل منها لا يقترن بهمزة الاستفهام ، تقول : كم رجال فى الدار ، عشرون بل ثلاثون ، ويقال : كم مالك ؛ أعشرون أم ثلاثون ؟

الرابع : أن (كم) الخبر تختص بالماضى كرب ، فلا يجوز أن يقال : كم غلمان سأملكهم كما لا يجوز أن يقال : رب غلمان سأملكهم ، ويجوز أن تقول : كم كتاباً سأشتريه ؟

وقد روى قول الفرزدق :

كم عمة لك يا جرير وخالة ... ودعاء قد حلبت على عشارى

بجر (عمة) و (خالة) ونصبهما ورفعهما .

فالجر على أن (كم) خبرية ، بمعنى كم من العمات والخالات حلبن : أى كثير منهن فعلن ذلك ، وهذا أبلغ تعبيرا ، وأقذع مجاء .

ونصب (عمة وخالة) فقيل : إن تميما تجيز نصب مميز (كم) الخبرية مفردا .

وقيل : إن النصب فى (عمـــة وخالة) للاستفهام التهكمى ، وعليهما يكون الإعراب :

(كم) : مبتدأ ، وجملة (قد حلبت) خبر ، والتاء للجماعة ؛ لأنهما عمات وخالات وإذا رفعنا (عمة وخالة) يكون رفعهما على الابتداء ، وجملة (قد حلبت) خبر للعمة أو للخالة ، وخبر الأخرى محذوف لدلالة المذكور عليه .

و (كم) مبينة على السكون فى محل نصب على المصدرية أو الظرفية : أى كم حلبة ، أو كم وقتا .

ولا يخفى علينا دور الحركة الإعرابية فى تغيير الدلالة ، واختلاف المعنى فنصب مميز (كم) يجعل الجملة استفهامية ، لا تحتمل صدقا ولا كذبا ، والمتكلم بها يحتاج إلى إجابة من المخاطب وجر المميز يفيد الإخبار ، ويدل على معنى الكثرة ، والمتكلم قد يكون صادقا وقد يكون كاذبا ، لأن ذلك من خصائص الخبر .

ومراعاة المقام فى الوصول إلى مايدل عليه التركيب أمر لا يستهان به ، ولا يمكن إغفاله فأنت قد تستقبل عالما فاضلا ، فترحب به قائلا : مرحبا بالعلامة فتدل العبارة على التقدير والتكريم .

ويختلف مدلول العبارة لو قلتها لجاهل متعالم ، وأنت تعرف حقيقته ؛ لأنها فى هذه الحالة تكون دالة على التهكم والاستهزاء .

ويجب أن نضع فى اعتبارنا عند البحث فى الدلالة ، أو الوقوف عليها ، أن نعرف ظروف الكلام وملابساته ، وما يحيط به ، وأن نكون على ذكر مما قرره السابقون من أن لكل مقام مقالا ، وبذلك نحقق الغاية ، ونصل إلى الصواب .

هذا وبالله التوفيق .

الدكتور محمد أبو المكارم قنديل

من مصادر البحث :

الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى - المكتبة الثقافية بيروت

إملاء ما من به الرحمن - للعكبرى - المطبعة الميمنية

الإنصاف فى مسائل الخلاف - لابن الأنبارى

تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد

البحر المحيط لأبى حيان - دار الفكر

البيان فى غريب إعراب القرآن - لابن الأنبارى .

تحقيق الدكتور طه عبد الحميد طه

حاشية الصبان على الأشمونى - داراحياء الكتب العربية

الخصائص لابن جنى - تحقيق الشيخ محمد على النجار

دار الكتاب العربى - بيروت

شرح الكافية فى النحو - لرضى الدين الاستراباذى -

دار الكتب العلمية - بيروت

القاموس المحيط لمجد الدين الفيروز أبادى - مطبعة السعادة بمصر

كتاب الأشباه والنظائر للسيوطى - تحقيق طه عبد الرءوف سعد

مكتبة الكليات الأزهرية

لسان العرب لابن منظور - تراثنا

المزهر فى علوم اللغة للسيوطى - تحقيق محمد جاد المولى وآخرين

معانى القرآن وإعرابه للزجاج - تحقيق الدكتور عبد الجليل عبده شلبى